الفاشية
بين النظرية والتطبيق

2
سجن الأفكار
The prison of ideas

obeikan.com

obeikan.com

عند الكتابة عن أي فكر سياسي ، يتعين على المؤرخ أن يكون حاسما. وسيكون من الخطأ أن يتم التعامل مع لغة أى شخصية من الشخصيات السياسية في ظاهرها فقط. وينبغي القيام بمقارنة التصريحات الرسمية للقادة مقابل ممارساتهم الفعلية. ولا يكفي أن نفترض أن السياسي الذى يستخدم كلمات مثل «الحرية» أو «الديمقراطية» ، أن يكون من المفترض أن هذه الكلمات سوف يكون لها نفس الوقع عى مختلف الجماهير التى تستمع إليها.

فهناك حاجة ماسة لتحليل كل الأيديولوجيات ، وهذا ينطبق بشكل خاص على الفاشية ، وهو التقليد السياسي الذي ينص من بدايته على قتل الملايين. في الواقع ، كيف يمكن لمؤرخ ، لديه ضمير ،أن يقوم بدراسة نهج الفاشية مع التزام الحياد؟ وما معنى الموضوعية عند الكتابة عن النظام السياسي الفاشى الذي أدخل العالم في الحرب التي قتل فيها ما لا يقل عن ٤٠ مليون شخصا ؟ بل كيف يمكن لمؤرخ محايد الحديث عن نظام للسياسة التي تحولت أوروبا القارية بسببه الى مخيم لسجن كبير؟

لا يمكن للمرء أن يكون متوازنا عند الكتابة عن الفاشية ، فلا يوجد شيء إيجابي يمكن أن يقال عنها. فالفاشية غير مقبولة بتاتا ،سواءً كوسيلة من وسائل التعبئة السياسية ، وسلسلة أفكارها وأيديولوجياتها ، وكنظام للحكم. ومع ذلك ، فهناك دور لمؤرخي الفاشية ، في سعيهم لشرح هذه العقيدة ، وشرحهم هذا يعد من النقاط الإيجابية التي نعتقد أنها شروح تسعى إلى مساواة أكبر بين فئات المجتمع كما انها أكثر السبل ديمقراطية والتي يمكن من خلالها وضع النظم المجتمعية. وعند الكتابة عن الفاشية ، فيجب على المؤرخين أن يكتبوا ضدها ، مع تقديم شروح لوجهة نظر بديلة خاصة وعالمية. هذا هو المحك في أي نظرية للفاشية – فكيف نتوقع أن تخذنا الفاشية نحو فهم شيء نحن نرفضه فى الأساس؟

فعندما يتعلق الأمر إلى وضع مثل هذه النظرية النقدية الفاشية ، يواجه المؤرخون مجموعة مذهلة من النماذج والتعاريف. فهناك العديد من التعريفات النفسية ، والتي تركز على ملامح الشخصية السلطوية أو الفاشية ومن هذه التعريفات؛ تعريفات (فيبرية) نسبة للمفكر« ماكس فيبر» ، والذى يصف الفاشية كأزمة برجوازية صغيرة ؛ النظريات «المثالية» ، والتى تقوم بدراسة الطابع الأسطوري والأيديولوجي للفاشية ، «النظريات الهيكلية» ، والتي تعتبر الفاشية كرد سياسي على فشل التنمية الاقتصادية. ويقول بعض المؤرخين أنه لا يوجد شيء اسمه الفاشية عموما ؛ والبعض الآخر يقبل أن هناك نمطًا عامًا من الفاشية ، ولكن يجب أن تستبعد الفاشية الألمانية من ذلك!

وهناك إحدى المدارس التاريخية تعرف الفاشية على أنها شكلا من أشكال الثقافة ، في حين تصف مدرسة أخرى بأنها مظهر من مظاهر السياسة الاستبدادية. ويستمر الجدل حول كل تلك النظريات حتى هذا اليوم.

وبالنظر إلى أن مثل هذا الخيار الواسع الموجود من النظريات ، يأس العديد من المؤرخين من محاولة فهم أو تعريف الفاشية ، مفضلين بدلا من ذلك التركيز على كتابة تاريخها. ويبدأ «بول هايز» تحليله للفاشية بالتشديد على أنه لم يصدر حتى الآن تعريف مرضي تماما عن الفاشية ، و يقول : إن الغرض من هذا العمل الذى يقوم به لا يعد محاولة لإيجاد مثل هذا التعريف. أما «ريتشارد ثورلوو» فهو يبسط المهمة بعد قيامه بتعريف الفاشية باعتبارها مجموعة من الأفراد أو الأحزاب التي تعلن ولاءها للعقيدة الفاشية والتى تطلق على نفسها هذا الاسم ! وهو تعريف موجز جدا ، وبالكاد يمثل نظرية نقدية أو ولا يقدم أى عون للمؤرخين من الناحية العملية . وبالنظر إلى ما قد ذهب إليه الفاشيون وخصوصا بعد عام ١٩٤٥ ، من

جل إخفاء معتقداتهم السياسية ، فيترتب على ذلك ببساطة بأنه ومن أجل الكتابة عن الفاشية ، يجب على المؤرخين أن يجدوا طريقة تمكنهم من التمييز بين الفاشي من غير الفاشي.

توافق الآراء الجديد The new consensus

ذكر « روجر غريفين » مؤخرا ، أن هناك 'توافقا جديدا ' في مجال 'الدراسات لفاشية» .وعلى حد قول« غريفين» :«أن المساهمين في الدراسات الفاشية في نهاية لمطاف في وضع يمكنهم من التعامل مع الفاشية مثل أي أيديولوجية أخرى... فهم م يعودوا بحاجة للانغماس في طقوس الرثاء بسبب افتقارهم إلى التوافق في آراءهم ، و على الأقل القيام بوضع تعريف للفاشية».

وهذا «التوافق الجديد فى الآراء » واضح أيضا في مقال نشر مؤخرا من قبل لكاتب «روجر إيتويل».

يقول «روجر إيتويل» : إنه يجب أن ينظر في المقام الأول للفاشية على أنها سلسلة من الأفكار : وأن أفضل تعريف للفاشية هو أنها تمثل فكرًا ، ويضيف إيتويل ، بأنه : لا توجد أي وسيلة أخرى لتفسير الفاشية » ، و أنه لا يمكن أن ينظر إليها على أنها شكل من أشكال النظام ، لأنه «كان هناك نظامان فقط» ؛ وعلاوة على ذلك ، لا يمكن تعريف الفاشية بأنها نوع من الحركات السياسية ؛ وذلك لأن الحركات لسياسية لها ملامح محددة من حيث «العرض والسياق» ، وهذا هو الذي لفت لانتباه بعيدا عن الجوهر الهام للأفكار الفاشية. بحجة أن الفاشية هي في المقام لأول إيديولوجية ، ويضع « إيتويل التعريف التالى المكون من جملة واحدة فى وصف الفاشية كما يلى :« هى أيديولوجية تسعى جاهدة لإقامة ولادة جديدة تسمي نفسها طريقًا قوميًا راديكاليًا ثالثًا و شاملًا ، و هذا على الرغم من التأكيد على

أن الممارسات الفاشية تسير على نمط معين ، يتمثل فى ممارساتها وشخصيات قائديها ، وان لديها أكثر من برنامج مفصل والدخول في تشويه الطائفة المانوية من أعدائها (المانوية نسبة الى قائدها ويدعى مانى).

ويستمد «روجر إيتويل» أسس حجته ، و نموذجه هذا من الفاشية ، من أعمال ثلاثة مؤرخين هم : زئيف ستيرنهيل ، وستانلي باين و روجر غريفين ، ويدعى إيتوبل انه يقدم توليفة حقيقية لأفكارهؤلاء المؤرخين. ولذلك فمن المهم أن ننظر إلى تعريفات و أفكار هؤلاء المؤرخين. أما بالنسبة لزئيف ستيرنهيل فهو أكثر شخصية إثارة للجدل من هؤلاء المؤرحين الثلاثة. فهو يذكر في عدد من الكتب و لمقالات ، بأن الفاشية ظهرت لأول مرة في فرنسا في ١٨٨٠ و ١٨٩٠ وأن الفاشية قد تولدت في عقول المثقفين والفنانين مثل درومونت Drumont ، وبيجوي ، و موراس ، و بيريس . وقد بدأت هذه الفاشية عند رفض الفكرة القائلة بأن«السبب» يمكن أن يستخدم لفهم توجهات المجتمع ، وجادل ستيرنهيل ، في أن تشكيل الجيل الجديد من المثقفين زاد من مناهضة العقلانية الفردية للمجتمع الليبرالي وبقوة. و أن هؤلاء المثقفين استوعبوا تلك الأفكار ثم قاموا بتوليفها لخلق أيديولوجية جديدة من الاشتراكية والقومية ،حيث وصف تلك الاشتراكية بأنها «اشتراكية بدون البروليتاريا » ، و التي أصبحت على شكل« الفاشية».ويصف ستيرنهيل تلك الأيديولوجية بأنها « التوليفة القومية العضوية والاشتراكية المناهضة للماركسية» ، و أنها «الإيديولوجية الثورية» على أساس رفضها لكل من الليبرالية ، والماركسية والديمقراطية في وقت واحد.

وستيرنهيل ، مثل ايتويل تماما ، فهو يعول بشكل كبير على الأصول الفكرية للفاشية ، و يقول : «إن الفاشية ، قبل أن تصبح قوة سياسية ، هى ظاهرة ثقافية».

إن أول الفاشيين كانوا من المفكرين والفنانين ، والاشتراكيين أيضا. وطوال كتابة ستيرنهيل ، نجد أنه يتبع طريقة على الدوام مستقاه من سيرته الذاتية الفكرية. وهذا مكنه من أن يشدد على العناصر اليمينية عند الحديث عن شخصيات من اليسار مثل «وبرودون» و«سوريل» ، والعكس من العناصر اليسارية في التفكير في الشخصيات اليمينية مثل درومونت Drumont وموسوليني و باريز Barrès. ونتيجة لذلك فالشيء الملاحظ والثابت من سرد ستيرنهيل لهذه المواضيع هو «إفتقاد المعنى» فى التمييز بين اليسار و ليمين. كما يقول : إن الفاشية ، جاءت من اليسار في حين يدعى ان الفاشية نفسها ضد اليسار. ومن الشائع وصف الفاشية بأنها ظاهرة يمينية ، ولكنه لا يوجد لها قواسم مشتركة لا مع المحافظين ولا مع الشيوعية. فالفاشية ليست يمينا ولا يسارا.

أما الكاتب «ستانلي باين» ، فهو مثل زئيف ستيرنهيل ، مؤرخ لفاشية أوروبا الغربية. ولكن ستيرنهيل يكتب عن الفاشية الفرنسية ، في حين يدرس باين الشكل الاسباني للحركة الفاشية. وهناك ما لا يقل عن اثنان من الكتب ل «باين »، لتقديم تعريف منهجي للفاشية بشكل عام.

إن «باين» يقوم بوصف الفاشية على أنها على شكل سلسلة من الأفكار التي تمتلك ثلاثة فروع رئيسية هي : فاشية الإنكار ، و فاشية الأهداف ، وفاشية الأسلوب أو النمط. أما «فاشية الإنكار فهو يعني بها السياسة الفاشية القياسية المضادة الشيوعية و المضادة لليبرالية. كما لاما بالنسبة لفاشية الإيديولوجية والأهداف ، فيضم «باين» لها إنشاء الدكتاتورية القومية ، وتعزيز الإمبراطورية وتبني مثاليات محددة ، والعقيدة الإرادية. ، ومن ناحية أخرى فالنمط الفاشي لباين يشمل تركيزه على بعض الصفات مثل العنف ، وتفضيل الرجل على المرأة والتقييم

الايجابي للشباب أكثر من الكبار فى السن . وبالتالى نجد أن « ستانلي باين» ، مثله مثل « زئيف ستيرنهيل » ، يشدد على النوعية الفكرية للفكر الفاشي. و يرى «باين » الفاشية بوصفها تتويجا منطقيا لإحدى «فرق التفكير والتنوير» ، ومزيج من الميتافيزيقية المثالية والمذهب الحيوي.

وعلى ما يبدو أن ذلك يعني أن الأفكار الفاشية تتمحور حول موضوع الرجل الجديد الذى يتميز بقوة إرادته : فرؤية المثقفين الفاشيين الذين يعتقدون أنهم قد وجدوا بغيتهم في شخصيات مثل « فاوست » أو « سوبرمان نيتشه». لذلك نرى أن تعريف باين يستحق أن يتم نقله بالكامل :

تعريف « ستانلي باين» للفاشية

Stanley Payne's Definition of Fascism

أ) إنكارات الفاشية

- مناهضتها لليبرالية.
- مناهضتها للشيوعية.
- مناهضتها للمحافظة (على الرغم من الجماعات الفاشية على استعداد للتفاهم للقيام بتحالفات مؤقتة مع أي مجموعات من قطاع آخر ، و خاصة مع اليمين).

ب) الفكر(الأيديولوجية) والأهداف

- إنشاء دولة قومية سلطوية جديدة .
- تنظيم نوع جديد من التعدد الطبقى المنظم ، وهياكل اقتصادية وطنية متكاملة.
- هدف أن تكون إمبراطورية.
- التبني لعقيدة معينة من المثالية الإرادية.

ج) الأسلوب والتنظيم

• التركيز على البنية الجمالية... مشددة على الجوانب الرومانسية.

• الشروع في التعبئة الجماهيرية مع عسكرة العلاقات والأساليب السياسية وإستهداف تكوين تكتل من ميليشيا الحزب.

• التقييم الإيجابي واستخدام... العنف.

• التطرف فى التركيز على مبدها الذكورى.

• الإعلاء من شأن الشباب.

• نزعة معينة تجاه النظام السلطوي ، والكاريزمية والنمط الخاص بالشخصية القيادية.

أما «روجيه جريفين» فهو مثل « روجر إيتويل» ، ولكنه مخالف لكل من «زئيف ستيرنهيل» أو «باين ستانلي» ، فهو ليس مؤرخًا من أي نوع محدد من الفاشية. ويستند عمله الرئيسي على مفهوم الفاشية كظاهرة عامة. وتحقيقا لهذه الغاية ،كتب تفسير واحد رئيسي عن الفاشية وقام بتحرير مجموعات هامة من النصوص والنظريات عن الفاشية.

فـ «روجر جريفين » يقول : إن الفاشية يمكن فهمها أفضل على أنها على شكل سلسلة من المقترحات ، أو..... «الخرافات». لهذا السبب ، فهو يتبع باين في قائمته التى وضعها بشأن تلك الخصائص التي يمكن أن يقال : إنها تمثل الحد الأدنى للفاشية . وبالنسبة لـ «غريفين » فالفاشية معادية لليبرالية ، وتناهض المحافظة ، وكاريزمية ، ومضادة للعقلانية والاشتراكية ، وهى شمولية وعنصرية وانتقائية.

ويقترح جريفين أن الفاشية تظهر على السطح عندما تعتبر أمة نفسها في أزمة ،

وأنه يقر أيضا -- مثل باين -- أنه ليس لديها دعم من طبقة معينة. ومع ذلك ، يتجاوز غريفين ، ستانلي باين ، بحجة أنه يوجد خيط واحد ووحيد هو الذي يربط هذه «الأسطورة » ، وهذا الخيط هو القومية. ويرى روجر غريفين أنه يمكن فهم الفاشية بطريقة أفضل باعتبارها شكلا من أشكال القومية ، وهي شكل من التطرف القومي الشعبوي. و هذا التعريف لوصف الفاشية كقومية متطرفة ، هو من العبارات التى ذكرها غريفين بشكل متكرر فى كتاباته.

و كلمة palingenetic التى يستخدمها للدلالة على التطرف القومى هى كلمة فى الأساس تعني « ولادة جديدة» ، لذلك فالفاشية هى شكل من أشكال القومية التي تنص على أن الأمة فى أوج انحطاطها ، و تحتاج إلى ولادة جديدة من خلال الثورة القومية. إذن فالفاشية متطرفة أو ثورة قومية. ومثل تلك التفسيرات التي يطرحها مثل هؤلاء المؤرخين تختلف بشكل واضح. فجريفين يقول: إن الفاشية والنازية يختلفان عن بعضهما البعض ، وإن كانا في الوقت نفسه مرتبطتان ، من خلال الأسطورية الجوهرية المشتركة بينهما . ومع ذلك فـ «ستيرنهيل» ، يقول بكل بساطة: أن هتلر لم يكن فاشيا.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات ، فهناك مساحات أكثر أهمية و التي يتفق فيها المؤرخون. فعلى سبيل المثال ، «إيتويل » ،و غريفين ، و باين و ستيرنهيل يلتزمون جميعا بالأسلوب المستمد من أسلوب ماكس فيبر ، والخاصة بإنشاء مفهوم خاص بهم من «الفاشية المثالية» وذلك من خلال تقديم قائمة من الأفكار تم اختيارها بعناية من الأصول الفاشية ، وبعد ذلك قاموا ببناء ما يسمى بـ «الحد الأدنى للفاشية» والذى ينص على أنه إذا كان فرد أو مجموعة معينة يتمسكون بعدد كبير من هذه الأفكار الفاشية ، فبالتالى يعد هذا الفرد أو الأفراد فاشيين أنفسهم.

وهذا الأسلوب يتيح للمؤرخين التمييز بين الفاشية والقوميات المحافظة الأخرى ، مثل الأصولية المسيحية أو المحافظة التقليدية. وخارج عمل هؤلاء المؤرخين الأربعة ، فمن الممكن بناء تعريف موحد للفاشية. العنصر الأول من هذا التعريف هو الاعتقاد بأن الفاشية هي شكل من أشكال القومية. وهذا ما أعرب عنه جريفين روجر بكل وضوح في كتابه ، والذي يصف الفاشية بأنها « نموذج ثوري قومي النزعة» ، ولكن ستانلي باين وزئيف ستيرنهيل يعملان من منطلق أنه لا ينبغي تعريف الفاشية بهذه الطريقة. ف«باين» يؤكد تحرك الفاشية لخلق دولة استبدادية قومية جديدة ، في حين يصف ستيرنهيل الفاشية بأنها « شكل جديدٌ من أشكال القومية» . و يصور ستيرنهيل الفاشية كتوليفة من القومية والاشتراكية ، بحجة إنها كانت انحرافا من الاشتراكيين الغير ماركسيين نحو القومية وبالتالى أدى ذلك لولادة الفاشية باعتبارها أيديولوجية مختلفة.

و العنصر الثاني من تعريف المؤرخين يمثل الاعتقاد بأن الفكر الفاشي يمثل خلاصة القومية والاشتراكية ، و استعار المؤرخون تلك الحجة من فالوا جورج الفاشي الفرنسي ، الذي حافظ على القول بأن : الاشتراكية+ القومية = الفاشية.

و يقول زئيف ستيرنهيل أن الفاشية هى شكل من أشكال الاشتراكية ؛ لأنها تنطوى على «العداء للاقتصاد الحر». ، ويصف ستيرنهيل في الواقع ، ما يسمى بحالة زواج القومية من الاشتراكية وهو الزواج من شركاء متساوين على حد قوله ، وبالتالى تعرف الفاشية على أنها «متغير جديد من الاشتراكية» ، أو على حد قوله : « نوع معين من الاشتراكية» .ويحدد ستيرنهيل الغرض من عمله بأنه ترسيم «لعملية الانتقال من اليسار نحو الفاشية »، حتى أنه يصور الفاشية بأنها قد تم تجنيدها في المقام الأول من اليسار.

والعنصر الثالث في تعريفات (غريفين ، ستيرنهيل ، باين) هو الادعاء بأن الفاشية هي في المقام الأول فكر أو«أيديولوجية» . فروجر جريفين يريان «الخرافات» هى السمة المميزة للفاشية ، في حين يقوم زئيف ستيرنهيل بوصف الفاشية باعتبارها مجموعة من الأفكار التي أنشأتها المثقفون. يسميها الفاشيون «تجميعا» ، وهى خليط من «الأيديولوجية الثورية» ، و«الثورة الثقافية» . ويدعى ستيرنهيل أنه يعمل من خلال اثنين من الافتراضات : الافتراض الأول هو أن الفاشية ، وقبل أن تصبح قوة سياسية ، فهى ظاهرة ثقافية... و الافتراض الثاني هو أن الدور الذى لعبته المفاهيم الفاشية داخل إطارها الخاص ، كان بالغ الأهمية في عمليه تطورها. ومن جهة أخرى ، يجادل ستيرنهيل بكل السبل بأن الممارسة الفاشية هى التى تحدد الفكر الفاشي ، ويقول : إن « الفاشية تقدم أفضل نموذج لها عندما يتواجد نظام سياسي يتميز بالممارسة الاستبدادية». . وأن الفاشية تعد «تطورا مباشرا للفكر والأيديولوجية». وبعبارة أخرى ، فقد جاء الفكر الفاشى أولا قبل أن يترجم تلك الأفكار إلى أفعال .

وحتى الآن ، فلقد قمت بوصف التعريفات الواضحة للفاشية التي يتقاسمها هؤلاء المؤرخون الأربعة. ومع ذلك ، فهناك أيضا توافق ضمنى في الآراء المتواجدة في أعمال هؤلاء الكتاب. وذلك من حيث تعريفهم للفاشية بطرق مشابهة ، ووصفها أيضا بطرق مشابهة ، لا لمجرد تنقيح فهمنا عن الفاشية ، بل أيضا شرح للكيفية التي تتصرف وتعمل بها. وهم في هذا لديهم أيضا عددا من المعتقدات المشتركة.

فالمعتقد الأول هو الشعور بأن عصر الفاشية الآن قد مضى وولى (على الرغم من أن «غريفين» هو الأكثر ترددا في هذه النقطة). ويقول ستانلي باين لنا عن الفاشية

بأنها: ظاهرة تاريخية محدودة في المقام الأول فى أوروبا خلال عصر «الحربين العالميتين». ومن الحجة القائلة بأن الفاشية قد انتهت الآن ، يتبع نقطة أخرى مقبولة تماما لعرض الفاشية على أنها لا مستحبة ، ولا خطيرة. وجميع المؤرخين الأربعة هم بالتالي يستكبرون بشكل عميق على الاعتراف بفكرة التاريخ المناهض للفاشية : بشكل عام ، لأقصى اليسار ، والتحليل النظري للفاشية يسعى في هدوء من قاعات المكتبات ليعزز إلى حد كبير رد الفعل الغريزي من ذوي الخبرة للخروج بالفاشية إلى لهيب المعركة. ، ويبدو أن جدلهم حول المعارك قد ولى زمانه ، والآن يبقى من الممكن تفسير الفاشية «كقوة تاريخية».

و يرتبط بهذا اختيار لنموذج محدد : فإذا كان هناك نظام يمكن وصفه أنه فاشي فلا بد أن يكون « النظام الإيطالي». والواقع أن الأربعة مؤرخين يذهبون الى حد القول بأن الفاشية الألمانية ليست في الحقيقة فاشية على الإطلاق. وحسب «ستيرنهيل» ، «فالفاشية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تحدد بالنازية» ، ولا يمكن للنازية أن تعامل على أنها مجرد متغير للفاشية ، ويرفضون أن يتم التعامل معها على هذا النحو. ووفقا لستانلي باين ، فإن ألمانيا تحت حكم هتلر كانت غير شيوعية وتعادل «الاشتراكية القومية» لروسيا ستالين : «أما إيطاليا موسوليني فلم تحمل أى شبه بأى واحدة من السابقتين ». ونجد أن «غريفين» على استعداد لقبول أن ألمانيا تحت حكم هتلر كانت « فاشية». وذلك على الرغم من أنه يسير على فكرة أن إيطاليا موسوليني كان أكثر فاشية ، وبالتالي لا يمكن توجيه اللوم بأن الفاشية مسئولة عن المحرقة :

بل هو مثال بشع ومأساوي للغاية المتمثل فى تفعيل «قانون مورفي» في العملية التاريخية التي مكنت شكلان من أشكال الفاشية الموجودتان آنذاك من الاستيلاء

على سلطة الدولة ، حيث كانت لإحداها إيديولوجية مدمرة لا مثيل لها.

وكان هناك عدد من الأساطير الخاصة بالإمبراطورية الرومانية والتي تذرعت بها إيطاليا الفاشية ، أو[رؤية موزلي] التي تذرعت بها بريطانيا العظمى... وتلك الحجج لا يمكنها تفسير الحجم الهائل من العدوان والاضطهاد العنصري من الجيش الذي ينطوي علي حلم الإمبراطورية النازية من تكوين إمبراطورية تخلو من العنصر اليهودي.

وبعد التفريق بين إيطاليا الفاشية و ألمانيا النازية ، يأكد المؤرخون على أن ما يرونه هو أساسا يمثل «الطبيعة الغير مدمرة للفاشية». و المؤرخون يرون أن الوقت قد حان لانقاذ ايطاليا الفاشية من وصمة العار ، في حين انه ليس من المناسب وصم ألمانيا بهذا العار فى الأساس . وفى هذه النقطة يقول باين ستانلي ، في جملة له: « إن القوى التي عززت تلك الكارثة التاريخية العالمية يصعب عرضها بموضوعية علمية» .

و يتشارك المؤرخون الأربعة أيضا فى وجهات النظر السياسية الليبرالية ، وأنها ستكون صدمة شديدة لهم حقا لو وجه إليهم الاتهام بأن تاريخهم لم يقدم ما يكفي لفهم أكبر للفاشية. أما بالنسبة لكونهم ليبراليون ، فهم يتذرعون بقولهم بأنه ينبغي أن ينظر للفاشية على أنها شكل من أشكال النظام السياسي الشمولي في الدولة والذى يسعى للحصول على السيطرة الكاملة على حياة مواطنيه. ، و يخبرنا ستيرنهيل بأن «الشمولية هى جوهر الفاشية».

ومن ثم تم شرح هذه الشمولية من حيث كونها تمثل «الطابع الجذري للفاشية» ، ويؤكد لنا المؤرخون أن الفاشية تمثل «حركة ثورية آرية أصيلة» ، والتي تمثل تحدي أساسي للرأسمالية ،والليبرالية الديمقراطية. ولذلك ، ربما كان ذلك سببا فى الحجة

القائلة أن الفاشية والماركسية لا يتعارضان فى الإيديولوجيات ، ولكنهما نفس الشيء. وكان من السخف الاعتقاد بأن الرأسمالية أخطر من أي شيء آخر فى العالم. ويوضح ستيرنهيل جزءا كبيرا من التماثل المزعوم بين الفاشية والشيوعية بقوله : « ومن المفيد الإصرار على «عظمة الدمار »الناجم عن التخلي الواعي عن حلم عقلاني من القرن الثامن عشر».

وهناك بلا شك توافق جديد فى الآراء ولكن يعتمد على قراءة انتقائية للأجيال السابقة من مؤرخي الفاشية. فعلى سبيل المثال « رينزو دي فيليس» ، الذى أوحى للمؤرخين الأربعة بفكرة أن التفسيرات السابقة للفاشية تركز كثيرا على استخدامها «للقومية» والعناصر القسرية والارهابية لتحقيق التوافق في الآراء ، وهو شرك تجنبته حتى الأصناف الفاشية الألمانية والإيطالية .

ومع ذلك ، فهم يرفضون تركيز دي فيليس على أن الطابع الغالب على الحركة الفاشية الإيطالية هى البرجوازية الصغيرة . ويقول « نولتي ارنست» أن المؤرخين قاموا باشتقاق اثنتين من الحجج المهمة : الأولى أن عهد الفاشية قد انتهى الآن ، وثانيا ، أنه ينبغي تفسير الفاشية في المقام الأول على أنها مجموعة من الأفكار. وما تم تجاهله من هؤلاء المؤرخين ، هو ما عاد وأكد عليه« نولتي» لمفهومه عن أهمية «معاداة الماركسية للفاشية» ، سواء من حيث «فاشية الفكر» و «فاشية العمل».

ويستعير المؤرخون من « إيه جى جريجور» ، تركيزهم على الطابع الشمولي للفاشية ، في حين رفضوا حجته بشكل كبير أنه يمكن تفسير الفاشية بوصفها 'الديكتاتورية التنموية »، وبعبارة أخرى ، «استجابة سياسية متكررة للتخلف الاقتصادي في ظل الرأسمالية».

وعندما نعيد النظر في الأفكار الأساسية في صلب نظريات المؤرخين المشتركة ،

يصبح من الواضح أن هناك نقاط ضعفٍ لحججهم ، سواء في الطريقة والاستنتاج. والعيب واضح من استخدام نهج «الحد الأدنى للفاشية» ، وهو أنه يصف أيديولوجية فاشية ثابتة : فهؤلاء الذين اعتنقوا الأفكار المحددة «هم فاشيون» ، وأولئك الذين لم يعتنقوا هذه الأفكار« ليسوا فاشيين». وهناك معنى لكيفية تطوير الأفكار ، واتصال تلك الأفكار بعضها البعض. ولطالما كانت الفاشية حيوية وفكر متناقض للغاية ، وبعض المواضيع توهج فى أوقات معينة ، والبعض الآخر في وقت لاحق. وهكذا ، ومنذ وصف ستانلي باين الفاشية بأنها تتسم بنفس القدر من مكافحة الشيوعية وأيضا أنها «مضادة للتيار المحافظ» على حد سواء . فهو لا يستطيع تفسير سبب مساعدة الحزبين الفاشيين الذان وصلا لحد الاستيلاء على سلطة الدولة ، وفى جميع الأحوال فقد تم ذلك من خلال التحالف مع المحافظين من الطبقات الحاكمة. ولقد كان من الواضح أن الفاشية المعادية للتيار المحافظ تختلف عن الفاشية المضادة للشيوعية ، وأنه عندما حدث الصراع بين هذين المبدأين من الفاشية ، كانت هذه الأخيرة هى التي فازت.

ويستند هذا الأسلوب المستخدم في بناء الحد الأدنى للفاشية على « الوصف» بدلا من « التفسير» لذلك. وكما لاحظ جاك جوليار ، أن كتابات ستيرنهيل تمثل العودة إلى «التاريخ القديم» من الأفكار التي تكتفي «بالترتيب الداخلي ، للأصل والانتماء» ، ولكن لم تضع فى الاعتبار ادماجها من النواحى الزمنية والبيئية. ويدافع باين عن هذا النهج قائلا : «إن تعين دراسة الفاشية كظاهرة عامة ، فمن الأولى أن يتم تحديدها من خلال نوع من العمل الوصفى . وهذا الوصف يجب أن يكون مشتقا من الدراسة الميدانية للحرب الداخلية المشتركة بين الحركات الكلاسيكية الأوروبية».

ولأن هؤلاء المؤرخين استندوا بشكل أساسي فى نظرياتهم على وصف الفاشية

بدلا من تفسيرها ، فهم بذلك قد فشلوا في توليد « فهم غير فاشي» للفاشية. ويقودون القراء إلى استنتاج مفاده أن وجهة النظر الفاشية في حد ذاتها هى العامل الأكثر أهمية في تعريف الفكر أو (الأيديولوجية). وبالتالى فهى ليست نظرية هامة لتعريف الفاشية ، بل تكاد لا تمثل أى نظرية على الإطلاق، لأن الأسلوب معيب ، وهناك نقاط ضعف في التعريف نفسه، كما هو الحال عندما يعرف جريفين الفاشية بأنها 'نموذج ، تطهير palingenetic والأسطورة القومية المتطرفة. وليس من الواضح أن «التطهير» يضيف شيئا إلى معنى «القومية المتطرفة».وحتى الحركات القومية المعتدلة نسبيا التى تنادى بضرورة إعادة الولادة للنهضة الوطنية ، وكذلك بالنسبة لغريفين فالقومية هي السمة المميزة للفاشية ، في جوهرها و ظاهرها. والمشكلة فى هذه الحجة هي أن النزعة القومية في حد ذاتها ليس من السهل تحديدها بسهولة ، وحتى المحللين الأكثر تطورا يأكدون على «الطبيعة الوهمية للتذرع بالحجة القومية». وبعبارة أخرى ، فقد وضع غريفين أسطورة واحدة ، من الفاشية ، ضمن فئة أوسع من الأساطير ، وأضاف لها القومية. وقد فشل غريفين بعد ذلك لتوضيح ما إذا كانت تلك التعبيرات التى استخدمها تضيف أي شيء إلى فهمنا على الإطلاق. وليكون تفسيره أكثر إقناعا ، تطلب ذلك بدوره تواجد نظرية قومية ، وتلك النظرية القومية لكى تضمن استمرارها ، فإن هذا بدوره يتطلب نظرية أيديولوجية ، والتي بدورها ستتطلب دعم لنظرية مجتمعية. ومن دون شرحا وافيا للقومية ، فإن حجة غريفين يبدو وكأنها مبنية على الرمال.

فهناك خلط شديد أيضا فى فكرة الاشتراكية الفاشية. في حين أن أعمال زئيف ستيرنهيل تجعله صاحب «منطق ملتوي» في التلاعب بهذه الفكرة كأنها لعبة من ألعاب الصالونات الفكرية. وأحد الأمثلة على ذلك هو حجته بأن الفاشية ، مثل الديمقراطية

الاجتماعية ، تظهر بين الاشتراكيين غير الماركسيين ، وبالتالي يمكن وصف تاريخ الفاشية» على أنه محاولة مستمرة لمراجعة الماركسية! ويمضي ستيرنهيل فى الهجوم على ما يراه من الانقسام الكاذب على حد قوله بين اليسار السياسي واليمين السياسي ، ويوجه إدانة للمؤرخين الفرنسيين من المحافظين الذين ما زالوا يؤمنون أن هناك فرقا بين الاثنين (اليمين واليسار) ويقول :... و في بلد مثل فرنسا حيث تمتزج السياسة مع العاطفة ، وحيث يتم الحكم على الحاضر من خلال الأحداث التى كانت فى الماضي ، ويكون الفصل بين اليسار واليمين ذو أهمية كبيرة. ولقد تناولت البحوث التاريخية ذلك الأمر ، بشكل أكبر مما تناولت به الحياة الفكرية ككل. والمشكلة فى حجه ستيرنهيل هو أن الانقسام بين اليسار واليمين في التاريخ واضح وحقيقي. فعلى سبيل المثال ، لم يتم التطرق الى الحركات المناهضة للفاشية والمعروفة تاريخيا والتى تم تجاهلها عند وصف حجج المؤرخين الليبراليين. فانضال بين الفاشيين والمعادين للفاشية كان عنيفا ، وقاتل وحقيقي. وهذا يجعل من الواضح أن المؤرخين الليبراليين تجاهلوا أهمية حاسمة للاشتراكية المضادة للفاشيين فى دراساتهم . والتغاضي عن الحقائق المتمثلة أيضا أن في كل بلد أثبت كل من الاشتراكيين والشيوعيين أنهم من أشد أعداء الفاشية ، ولقد كان اليسار السياسي الضحية الأولى دائما للحكم الفاشي.

وإذا كان هناك أي اهتمام بمناهضة الفاشية في الدراسات الأكاديمية ،يجعل من التماثل المزعوم بين الفكر الفاشي والاشتراكية مبالغا فيه والذى لم يؤد فى النهاية إلى أي شيء أكثر من مجرد الاعتراف بأن كلا الفريقين (الفاشية والاشتراكية) قد سعى لتغيير المجتمع ، و أن كل منهم قد استخدم الأحزاب السياسية للتأثير على هذا التغيير. والحقيقة أن الفاشية والاشتراكية تختلفان من حيث الأفكار والتقاليد ، ومصادر الدعم لكل منهما مختلفة ، و كذلك فإن لها علاقات مختلفة جذريا بالوضع الرأسمالي القائم حينها ، ويبدو أن

جميع المؤرخين قد قاموا بتجاهل كل تلك الحقائق. ولقد تنصل المؤرخون أيضا بلطف من حقيقة واضحة أن الفاشية تستحوذ على حلفائها من جهة اليمين وليس اليسار. وأشار لذلك « روبرت سوسى »بأن ليس صحيحا فقط أن «أيديولوجية المحافظين»... متوافقة مع الفاشية فى عدد من القضايا ، ولكن دخلت أيضا أقسام اليمين الأوروبي طوعا في تواطؤ مع الفاشية وذلك عندما أعربوا عن اعتقادهم بأن مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية تتعرض لتهديدات خطيرة من قبل اليسار.

فالحجة القائلة بأن الفاشية هى موسوليني وليس هتلر ماهى الا حجة لإجراء إعادة تقييم إيجابي للفاشية. وعلاوة على ذلك ، ما يوصف الآن بأنه « تحليل أكاديمي» للفاشية ليس من المرجح أن يظل على هذا النحو للأبد . وهكذا فإن مزاعم « زئيف ستيرنهيل بشأن تطرف الفاشية فى الماضى تفتقر إلى الأمانة فى السرد ، بل هى مزاعم خطرة أيضا. وتلك المزاعم لها جذورها المستمدة من أفكار المؤرخ «إي جى جريجور» ، وهو المؤرخ الذي كتب فى «مجلة موزلي الفاشية الأوروبية».

كما نجد أن حجة ستيرنهيل فى أن التمييز بين اليسار واليمين لا معنى لها على الإطلاق ، لأنها حجة مطابقة لما استخدمه اليمين المتطرف في عام ١٩٣٠ و كذلك فى هذه الأيام. وفي عام ١٩٩٥ ، كتب «آلان دي بونيست » ذو الفكر اليمينى المتطرف في مجلة « تيلوز Telos ، أن «الانقسام بين اليسار واليمين» قد انتهى. ثم قام باستخدام نفس مصطلحات وحجج ستيرنهيل بشكل واسع النطاق لمراجعه وتنقيح الفاشية ، وتابع : إنها ليست مسألة «يسار ولا يمين »ولكن هى مسألة تطوير لتشكيلات سياسية جديدة . ومن غير المحتمل أن مثل هذا الادعاء قد أخذ على محمل الجد ، حيث أنه لم يكتسب الشرعية من قبل في نظريات مؤرخين أمثال ستيرنهيل.

إن الضعف الأساسي في تعريف المؤرخين أعلاه للفاشية يكمن في تركيزهم على

الدور المركزي للأفكار. فالمشكلة الكبيرة فى فهم الفاشية ببساطة على أنها « أيديولوجية» أو كونها فكر يتصادم مع حقيقة مفادها أن ليس من السهل فهم العديد من الأفكار التي تميز الفاشية في حد ذاتها. فبعض هذه الأفكار « وطني بحت» ، وكان هناك العديد من القوميين الذين لم يكونوا فاشيين. وبالمثل ، كان للعديد من الأحزاب المحافظة التقليدية أنصار من العنصريين. ويكتب « كولن سباركس» فى ذلك قائلا:

قامت الفاشية بالعديد من المراوغات في أثناء حياتها ، وكان نتاج ذلك عدد هائل من الخرافات والأكاذيب أكبر من أي وقت مضى في تاريخ الرأسمالية العفنة ، وهى مثل حزمة من «البطاقات الدهنية » ومن ثم يتم التعامل بها للفوز بما أمكن.

والمهم ليس هو الأفكار نفسها ، ولكن السياق الذي تعمل فيه. فالعديد من الأفكار الفاشية تمثل مرتعا لجميع الرجعيين ، ولكن يتم استخدامها بطريقة مختلفة. فالفاشية لا تختلف عن الأحزاب التقليدية اليمينية مثل حزب المحافظين في الكثير من الأفكار ولكن تضيف لنفسها أنها « حركة جماهيرية من خارج البرلمان »

والتي تسعى للوصول الى السلطة من خلال الهجمات المسلحة على معارضيها.

ومن أجل تبرير تعريفهم المثالي ، أكد المؤرخون على أن الفاشية ، حركة ، حيث تعمل الأفكار والمبادئ الفاشية على صياغة العمل الفاشي. ولكن معظم البحوث التجريبية تشير إلى عكس ذلك ، فهى تشير إلى أن موسوليني وهتلر وأوزوالد موسلي كانوا زعماء غاية فى الانتهازية ، وأنه أحزابهم تتميز بالتركيز أكثر على العمل بدلا من الانضمام إلى أحد الأفكار الرئيسية. كما يقول أنجيلو تاسكا عن « موسوليني »: كان يستخدم ما لديه من الأفكار فقط في الاستغناء عن الأفكار. ويرصد أيضا هذه النقطة «ريتشارد ثورلوء » بشأن الاتحاد البريطاني للفاشيين :

كانت الفاشية دوما حركة ذات توجه عملي ، حيث إن وظيفة الأفكار هى شرح سلوكيات أكثر من توخى العقلانية الفطرية. وبالنسبة لزئيف ستيرنهيل ، الذى يعتقد أنه وبما أن الفاشيين قد وصفوا أنفسهم بأنهم يقادون بالأفكار ، فبالتالي يجب أن يكونوا كذلك.و يصور ستيرنهيل الفاشية بأنها اشتراكية لأن موسوليني قال : إنها كذلك، وأنها فرنسية بسبب أن « دوريوت »Doriot وصفها على هذا النحو ، ومناهضة للوضعية anti-positivist بسبب أن اليهود قالوا ذلك.

وكان أول من أدلى بالجملة القائلة :

والشيء نفسه ينطبق بشأن الحجج التي تساوي الفاشية بالقومية و الاشتراكية ، وأنها ليست عنصرية ، وأنها على خلاف النازية، هما «جورج فالوا» و« بينيتو موسوليني» الفاشيين. لذلك يجادل ستيرنهيل بأنهم قد يكونوا محقين.

ومن جانبه ، يرى روجر جريفين بوضوح الخلل في تحديد وجهات النظر من خلال الفاشية وطريقة إظهار الفاشيين لتاريخهم بأنفسهم : إن فرضية هذا النهج تعتمد على التعامل مع الفكر الفاشي في ظاهره ، والاعتراف بالدور المركزي الذي تضطلع به من حيث أسطورة « الولادة القومية الجديدة » التى سينجم عنها العثور على «الطريق الثالث» بين الليبرالية / الرأسمالية من جهة والشيوعية / الاشتراكية. من جهة أخرى، ومع ذلك ، يصور غريفين هذا الضعف الكبير باعتباره قوة قائلا : واحدة من مزايا توافق الآراء الجديد هو أنه يأتي تماشيا مع أن الفاشية تسير من خلال المذاهب السياسية الرئيسية الأخرى» «وتقترب من العلوم الإنسانية من خلال وصفها كفكر قابل للاستنتاج.

ومن الغريب أن التاريخ يقبل ببساطة القيمة الظاهرية عند تعريف الشخصيات التاريخية وذلك من خلال طريقة عرضهم لأنفسهم. وليس هناك عاقل يمكنه تفسير

المحرقة في المقام الأول بنفس الطريقة التي يفسرها مرتكبيها. لذلك كيف يمكن للمؤرخين الدفاع عن النظرية الأكاديمية والذين يستخدمون الفاشيين «كمادة هامة لبناء فهم أفضل عن الفاشية؟ وبالنظر إلى تاريخ الفاشية ، فمن المنطقي أن يكون هناك إصرار أكبر على دراسة تلك الحركة الخطيرة. وأول انتقاد تم توجيهه من قبل ارنست نولت ، الذي كان من المفارقات أنه ينصب نفسه رائدا في التفسير المثالي للفاشية فيقول : هل يسمح لهتلر بأن تكون له« الكلمة مرة أخرى » بعد سنوات عديدة من وفاته ، بعد أن أجبر العالم كله على الذهاب إلى الحرب من أجل إسكات الغوغاء الهائجون؟

ومهما كانت الصفات الايجابية من النظريات الفاشية التي طرحها « إيتويل» Eatwell وغريفين والمؤرخين الآخرين ، ومهما وصفت سياساتهم بأنها ليبرالية ، ومهما كانت نوايا هؤلاء الكتاب التاريخيين ، إلا أن توافق الآراء الجديد قد فشل في الاختبار المقترح في بداية هذا الفصل. لذا فمهمتهم التاريخية معيبة وترتبط ارتباطا وثيقا بتعريف الفاشية بنفس الشكل الذي يقدمه الفاشيون أنفسهم ، وبالتالي فهم لا يشكلون نظرية هامة للفاشية.

ولذلك و لتجاوز تعريفات إيتويل ، ستيرنهيل ، وباين وغريفين ، يجب على المؤرخين الخروج من «سجن الأفكار ». ويكون البديل هو تحليل الفاشية بوصفها قوة فاعلة في المجتمع. ومن أجل فهم أفضل للفاشية، يجب على أي نظرية أن تركز على النظر في تاريخ الحركة ، والسلوكيات الخاصة بها كتقليد سياسي. وهذا هو الأسلوب الذى يمكن عن طريقه القيام ببناء تاريخي سليم يمكن عن طريقه التوصل إلى فهم أكثر ملاءمة للنظرية الفاشية. وتحقيقا لهذه الغاية ، سأقوم بدراسة الفاشية داخل المجتمعات التي نشأت فيها أولا ، ولا سيما إيطاليا وألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى.